الحوكمة في العمل الخيري

تطوير أنظمة صحية مرنة من خلال دعم العمل الخيري

نور زبيري

من الضروري أن يستند مستقبل العمل الخيري الصحي إلى الاستثمار طويل الأجل، وبناء الثقة المجتمعية، وتطبيق الحوكمة الرشيدة.

المقدمة

إن توفير الرعاية الصحية عالية الجودة هو حق إنساني أساسي، ومع ذلك يُواجه الملايين حول العالم حرماناً من هذه الرعاية في الأوقات الحرجة، نتيجةً للنزاعات المسلحة أو الكوارث الطبيعية،أو الأعباء المالية أو التمييز الاجتماعي، أو في بعض الحالات القصوى، لعدم توفر علاج فعّال.

رغم بلوغ الإنفاق الصحي العالمي حوالي 10 تريليون دولار (2021، منظمة الصحة العالمية)، لا يزال هناك تفاوت كبير في إمكانية الحصول على الرعاية الصحية. وعلى الرغم من أن جائحة كوفيد-19 أدت إلى تدفق تمويل غير مسبوق إلى الأنظمة الصحية حول العالم، إلا أن هذا التمويل يشهد الآن تراجعاً كبيراً، إذ من المتوقع أن تنخفض المساعدات الصحية من 80.3 مليار دولار في 2021 إلى 38.4 مليار دولار في 2025 (معهد القياسات الصحية والتقييم). وهنا يأتي دور العمل الخيري لسد الثغرات غير المرئية.

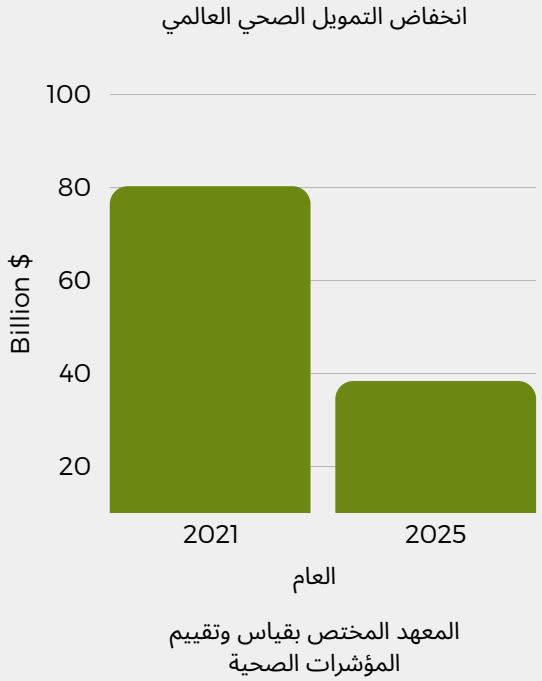

- عندما يواجه العالم صراعات غير مسبوقة وطوارئ صحية ناجمة عن التغير المناخي
- وعندما ترتفع تكاليف الرعاية لتصبح غير متاحة لعدد أكبر من الناس
- وعندما تبرز الحاجة إلى استثمارات جريئة في البحث والابتكار لمعالجة الأمراض التي لا يوجد لها علاج حالياً
- وعندما تتعرض الصحة النفسية للمجتمعات لتحديات متزايدة

لا يقتصر دور العمل الخيري على الاستجابة الفورية للطوارئ، بل يشمل أيضاً تقديم استثمارات طويلة الأجل ومستدامة، تعتمد على علاقات متينة تقوم على الثقة والمساءلة والحوكمة الجيدة.

من الاستجابة الطارئة إلى العمل بمسؤولية

تتسبب النزاعات والكوارث الطبيعية والصدمات المناخية في تعطيل الرعاية الصحية وتشريد السكان وظهور احتياجات طبية غير مسبوقة. ووفقاً لمنظمة الصحة العالمية، يحتاج نحو 300 مليون شخص إلى دعم إنساني، ويتأثر طفل من بين كل خمسة بالنزاعات بشكل مباشر. في مثل هذه الظروف غير المتوقعة، يلعب العمل الخيري دوراً أساسياً في دعم جهود الخطوط الأمامية وسد فجوات الموارد وتمكين الاستجابات السريعة. لكن الفاعلية تتطلب أيضاً حوكمة متينة وتخطيطاً استراتيجياً،وشراكات محلية موثوقة. ولكي يتصرف المانحون بمسؤولية في بيئات خطرة وسريعة التطور، ينبغي عليهم:

- القدرة على إدارة المعلومات المغلوطة في سياقات معقدة
- التنقل بين القيود التنظيمية ومتطلبات الوصول
- الحفاظ على الحوكمة والشفافية في ظل الضغوط
- بناء شراكات محلية قائمة على الثقة المتبادلة
- ممارسة منح تمويلية أخلاقية ومرنة

ممارسة الحوكمة السليمة أثناء تقديم الدعم في أوقات الأزمات يساعد على تجنب الفوضى وسوء استخدام التمويل، ويضمن وصول الدعم بأكبر قدر من الفائدة إلى المستفيدين.

في الميدان: البحرين تُسير فريقًا طبيًا لدعم المتضررين من زلزال سوريا

في فبراير 2023، وامتثالاً لتوجيهات جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، أبرمت المؤسسة الملكية للأعمال الإنسانية واللجنة الوطنية لدعم ضحايا الزلزال في سوريا وتركيا مذكرة تفاهم مع نقابة الأطباء السوريين. وبدعم من جمعية الأطباء البحرينية، تم تسيير فريق طبي من الأطباء البحرينيين المتطوعين لتقديم العلاج للمصابين وتوصيل المستلزمات الطبية الضرورية.

فتعكس هذه المبادرة أهمية الاتفاقيات الرسمية في تحديد مهام ومسؤوليات الأطراف المعنية، وتوحيد الأهداف بين الشركاء الوطنيين والمحليين. كما تؤكد على أهمية العمل عبر مؤسسات موثوقة لتنسيق الموارد، وضمان الشفافية والمساءلة في التدخلات الطبية الإنسانية خلال الأزمات.

الاستثمار في المستقبل: مساهمة العمل الخيري في تطوير الابتكار الصحي

يمثل الاستثمار الاستراتيجي طويل الأمد من المانحين نقطة تحول من الاستجابة الطارئة إلى تجهيز أنظمة الصحة لتكون مرنة، ومستجيبة للاحتياجات، ومؤهلة لمواجهة المستقبل. ويشكل البحث والابتكار العمود الفقري لهذا التحول، من خلال تطوير مبادرات وتقنيات وعلاجات جديدة تتصدى للتحديات الصحية المتغيرة وتسد الثغرات القائمة في الرعاية الصحية. ويتطلب الأمر أيضاً دعماً عبر التعاون متعدد القطاعات والاستثمار في نماذج تمويل مستدامة.

يقوم العديد من المانحين حالياً بتبني هذا النهج الاستراتيجي طويل الأجل في مجالات متعددة، مستفيدين من الاستثمارات لبناء الجيل القادم من خدمات الرعاية الصحية، ليس فقط بتوفير التمويل للعلاج، بل أيضاً بتمكين اكتشاف وسائل جديدة لدعم أنظمة الصحة.

عند المساهمة في دعم البحث والتطوير، يصبح من الضروري تطبيق ممارسات الحوكمة الجيدة، والتأكد من أن البحث يتم بصورة أخلاقية ومنصفة، مع ضمان شفافية العمليات والنتائج لتعزيز مصداقية البيانات. كما تضمن الحوكمة استمرارية المشاريع ومساءلتها على المدى البعيد.

في الميدان: مؤسسة ZC4H2 للبحوث

نظرًا لقلة المعلومات وخيارات العلاج المتاحة للحالة النادرة جداً المرتبطة بـ ZC4H2 والمعروفة أيضاً باسم اضطرابات ZARD، وهو اضطراب وراثي نادر يؤثر على الجهاز العصبي المركزي والمحيطي، قام جون وكاثرين بول، المقيمان في دبي، بتأسيس مؤسسة ZC4H2 للبحوث في عام 2018. حينها، لم يكن قد تم تحديد سوى عدد قليل من الحالات على الصعيد العالمي، وكانت الأبحاث محدودة للغاية.

تعد المؤسسة كياناً خاصاً غير ربحي مسجلاً وتخضع لعمليات تدقيق في هولندا، مع تأسيس فرع في الولايات المتحدة عام 2022. يعمل الفرعان معاً على المستوى العالمي لدعم البحث العلمي المتعلق بـ ZC4H2 واضطرابات ZARD. وتُظهر هذه المبادرة كيف يمكن للعمل الخيري العائلي، والمبني على هياكل شفافة وحوكمة مسؤولة، أن يسهم في دفع التقدم والابتكار في المجالات المهملة وذات التمويل المحدود مثل أبحاث الأمراض النادرة.

في الميدان: مستشفى ومركز الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، المملكة العربية السعودية

يُعد مستشفى ومركز الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض من المرافق الرائدة في الرعاية المتقدمة، والمعروف بابتكاراته في البحث والتقنية وتقديم الرعاية الصحية المتخصصة. في عام 2021، أصبح المركز مؤسسة مستقلة غير ربحية بقرار ملكي، ضمن إطار رؤية السعودية 2030، مما منح المستشفى استقلالية مالية وإدارية أكبر. ومن ثم، تم خلق فرص للعمل الخيري وللتمويل الاستراتيجي للبحوث والتعاون المبتكر في مجالات مثل الأورام وزراعة الأعضاء والوراثة.

توضح هذه الأمثلة جميعها كيف يمكن للعمل الخيري، على المستويات الفردية والمؤسسية والمرتبطة بالحكومات، أن يتيح فرصاً للابتكار الصحي المستدام على المدى الطويل.

الوصول إلى الفئات المهمشة: معالجة الفجوات في الرعاية اليومية

يبقى الوصول إلى رعاية صحية ميسورة وعالية الجودة غير متاح لملايين الأشخاص، لا سيما من الدول النامية أو العاملين المهاجرين واليدويين. يؤدي ارتفاع التكاليف، وتجزئة أنظمة الخدمة، والفجوات التمويلية الهيكلية إلى تفاقم الفوارق الصحية على الصعيد العالمي.

في 2022، تم توجيه ما يقارب 47% من المنح الخيرية لتلبية احتياجات الصحة والصحة السكانية في الدول النامية (منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية). ومع ذلك، تستمر الفوارق الواسعة، خاصة عند تقاطع الدخل والجغرافيا والوضع القانوني.

في حين يعمل المانحون على تقديم حلول للاحتياجات الفورية، بإمكانهم أيضاً تعزيز وتمويل التغيير طويل الأمد من خلال أنظمة صحية متينة، ونماذج رعاية محلية، وابتكار مسؤول. وتتسارع هذه الحلول بدعم الفرص الرقمية مثل الطب عن بعد والتشخيص المعتمد على الذكاء الاصطناعي، إلا أن هذه الفرص تحمل مخاطر تتعلق بخصوصية البيانات، والمراقبة، والاستبعاد الرقمي.

لتحقيق عدالة في الوصول إلى الرعاية الصحية، يتوجب على المانحين والممارسين اعتماد آليات حوكمة تراقب الأثر، وتمنع الاستغلال، وتوافق التدخلات مع متطلبات المجتمع. أما بالنسبة للأدوات الرقمية، فتعتبر الحوكمة عنصرًا حاسماً لضمان الخصوصية والإنصاف والدقة.

تتطلب الاستراتيجيات الخيرية التي تهدف إلى العدالة التركيز على هدفين مترابطين: توسيع الوصول مع ضمان المساءلة في كيفية تصميم وتقديم الرعاية. ويُلاحظ هذا الهدف المزدوج في المبادرات المحلية المتجذرة في دول الخليج.

في الميدان: المركز الطبي الباكستاني (PMC)، في دولة الإمارات العربية المتحدة

افتتح المركز الطبي الباكستاني في أغسطس 2020 كأول مزود رعاية صحية متعددة التخصصات غير ربحي في دول مجلس التعاون الخليجي، ويقدم خدمات علاجية مجانية ومنخفضة التكلفة للأشخاص غير المخدومين من جميع الجنسيات. المركز مقره في دبي ويعتمد على قاعدة واسعة من التبرعات المجتمعية والشركاء في العمل الخيري. يخدم المركز آلاف المستفيدين من ذوي الدخل المحدود، والكثير منهم من العمالة اليدوية.

يبين هذا النموذج أن الوصول إلى الرعاية الصحية، والرعاية بكرامة، والرعاية ذات الجودة العالية يمكن تحقيقها عبر أنظمة صحية تديرها المجتمعات وتتميز بحوكمة شفافة مستقلة عن النظام الحكومي.

وضع الصحة النفسية ضمن الأولويات الاستراتيجية

على الرغم من ارتفاع مستوى الوعي، إلا أن التمويل المخصص للصحة النفسية لا يزال غير كافٍ بشكل كبير، وغالبًا ما يُهمل في الميزانيات ومحافظ المنح الخيرية. وتشير تقديرات منظمة الصحة العالمية إلى أن القلق والاكتئاب وحدهما يتسببان في خسائر تتجاوز تريليون دولار سنويًا في الإنتاجية العالمية، بينما يصل العجز في التمويل العالمي إلى أكثر من 200 مليار دولار.

تحد الوصمة الاجتماعية وضعف البنية التحتية ونماذج الرعاية المرتبطة بالثقافة من إمكانية الوصول إلى الرعاية في كثير من المجتمعات، خصوصاً بين الشباب والعمال والأشخاص المتأثرين بالأزمات.

تمتلك المؤسسات الخيرية فرصة والتزامًا مميزين لمعالجة التحديات القائمة عبر تأطير الصحة النفسية كمسألة نظامية وليست مجرد تدخل معزول. وهذا يشمل تقديم الدعم الذي يمتد إلى ما بعد العلاج ليشمل الوقاية، والابتكار في السياسات، وأنظمة رعاية شاملة تشمل المدارس وأماكن العمل والمجتمعات. تُعد الحوكمة القوية أمرًا أساسيًا لضمان أن تظل خدمات الصحة النفسية أخلاقية، وآمنة، وتحترم الخصوصية، مع وجود آليات إشراف واضحة. وتجذر هذه المبادرة بالفعل في المنطقة عبر جهود مجتمعية صغيرة متجذرة بعمق في الثقافات والسياقات المحلية.

في الميدان: عيادة همسات الصفاء، سلطنة عُمان

تُعتبر عيادة همسات الصفاء أول عيادة خاصة للصحة النفسية في عمان، وقد تبوأت بسرعة مكانة رائدة في المنطقة في مجال رفع الوعي وتوفير الوصول إلى الخدمات. وأصبحت شريكاً دائماً للقطاعين الحكومي والخاص عبر دعم جلسات العلاج وحملات التوعية المجتمعية. في عام 2023، وسعت مبادرة "لست وحدك" نطاق دعمها لتشمل المجتمعات المغربية المتضررة من الزلازل، مع إطلاق خط رسائل مخصص للمتأثرين.

يوضح هذا النموذج كيفية توفير العمل الخيري المحلي للمرونة والأخلاق معاً للاستجابة للأزمات وتقليل وصمة الصحة النفسية عبر رعاية تراعي الكفاءة الثقافية.

المجالات الرئيسية للاستثمار في العمل الخيري:

- التعامل مع الصحة النفسية كقضية نظامية واجتماعية واقتصادية وليست مشكلة فردية
- تلبية فجوة التمويل من خلال تمويل مرن طويل الأمد للمزودين المحليين والمبادرات الشعبية
- دعم الوقاية عبر برامج مجتمعية ومكانية، بالإضافة إلى تدخلات في المدارس وأماكن العمل
- تطبيق الحوكمة على الأدوات الرقمية من خلال حماية خصوصية البيانات، وضمان الشفافية في قرارات الذكاء الاصطناعي، وتحقيق المساواة في الوصول

في ظل التوجه نحو تنويع محافظ العطاء في المنطقة، يجب أن تُدرج الصحة النفسية كعنصر أساسي في النهج الاستراتيجي للعمل الخيري، يتميز بالثقة والمساءلة والشمولية في تعزيز الرفاه للجميع.

الخاتمة

عادةً ما يبرز دور العمل الخيري في أصعب الأوقات، عندما تواجه الأنظمة الصحية تحديات كبرى بسبب الصراعات أو الكوارث أو النزوح أو الضغوط الاقتصادية. هذا النوع من العطاء السريع ينقذ الأرواح، ولا يمكن التقليل من أهميته.
إلا أن الدور الأعمق للعمل الخيري يبدأ بعد انحسار الأزمة، في بناء أنظمة رعاية صحية أكثر عدلاً وشمولية واستدامة للمستقبل.

في تمويل الخدمات الميدانية، أو دعم الأبحاث، أو الاستثمار في مجالات غير مدعومة تاريخيًا مثل الصحة النفسية، يمتلك العمل الخيري القدرة على فعل ما يتجنبه الآخرون. فهو قادر على تحمل المخاطر، وتعزيز الابتكار، والوصول إلى الفئات المهمشة. وتضمن الحوكمة الجيدة أن تُستخدم الموارد الخيرية بأسلوب أخلاقي وذكي ومستدام يحقق فائدة قصوى للمجتمعات.

تبرز التجارب من منطقة الخليج وخارجها أن العطاء الاستراتيجي قادر على ما هو أكثر من مجرد سد الفجوات؛ فهو يساهم في بناء منظومات تضمن الوصول، والكرامة، والمرونة.
ولتحقيق ذلك، يجب أن يقوم العمل الخيري الصحي في المرحلة القادمة على ثلاثة ركائز أساسية: تمويل طويل الأمد، مساءلة محلية وحماية مجتمعية، وحوكمة ذكية. وبذلك، يصبح مستقبل الرعاية الصحية شاملاً وعادلاً للجميع.

للاستفسار أو للرغبة في التعاون معنا، يرجى التواصل مع:

نور زبيري،
مساعد برامج أول
برنامج الحوكمة في العمل الخيري
nzuberi@pearlinitiative.org